

صورة من سنت الجاهلية

## فرعون قریش

للأستاذ كامل محمود حبيب

« رأيت الله يعنى عبداً إذا صلى ، رأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى ، رأيت إن كذب وتولى ، ألم يعلم بأن الله يرى ، كلا لئن لم ينته لنسفنا بالناسية ، ناسية كاذبة خاطئة ، فليدع ناديه ، سندع الزبانية ، كلا لا تطعه واسجد واقترب » (قرآن كريم)

يا عجبا ! إن الإنسان ليخلو إلى نفسه أحيانا - فينتضى ما يرأى به الناس ، ويبدو عاريا عن كل شيء إلا ما اقترف من إثم أو ما اكتسب من خطيئة ؛ فيحاسبها وتتابه ، ويلومها وتؤنبه ، ثم يخرج من هذا المراكب النفساني وقد فاء وأتاب ... أما الفاجر الفظ فلا يرتدع ولا يتصون ، لأن الشر يتدفق في عروقه فيسيطر عليه فيسؤل له أشياء ليست هي من الإنسانية ولا من الضمير ولا من العقل ، ولأن الشيطان اتخذ له ولياً فأضله عن سواء السبيل

\*\*\*

الليل ساج ساكن والقمر يخفق في السماء يشع نوراً جليلاً يجنب القلب ، والقوم مُتنبثون في أرجاء المكان بالعدوة القصوى ليلة سبع عشرة من شهر رمضان من السنة الثانية

من جفاف العقل ، وفي كفالة من صلابة المادة !

فاستغفر لي يا سيدي الرسول، إلى إنسان لا يرى بيبنيه ولكنه يحس ببصيرته ... ولا يتطوى في عقله ، ولكنه يتطوى معه في حذمه ، ولا يتحجر مع المادة ولكنه يلبها بمصارة من قلبه : يبعث فيها جاذب الحياة ، ويشير منها معنى الوجود ، كما يبل الطيب وجه المريض يدفع عنه غفلته ، ويصرف عنه إغماءه ... ادع لي ... واستغفر لي ... فما أحوجني يا سيدي يا رسول الله إلى النساء والاستغفار ... !

شكره فبش

(القاهرة)

للحجرة ؛ وهم في حركة صامتة يتهبأون لأمر ذي بال قد شتاهم عن كل ما حولهم ، لا تسمع إلا صليل الحديد وحنين الإبل ، وإلا صهيل الخيل وتياح الكلاب ، وإلا همسات فتة يتشاورون في أمر قد أهمهم ... هذا وفرعون قریش أبو جهل عمرو بن هشام بن النيرة جالس وحده في ناحية وبين يديه درع له قد تظها من جرابها فهو يهنتها . وعملت في قفه الخلوة حين أخذ الناس يتسللون إلى مضاجعهم ، فراحت خواطره تسبح بين ثنايا عمره الغابر . وأطرق فرعون قریش طويلاً فإذا أمامه وأوزاره منشورة أمام عينيه تسخر منه وتهزأ به ، وإذا غده الأسود يرتو إليه عابساً مكفهاً وهو لا يدري ما وراءه . إنه سيندو على حرب حطبا رجال من قومه وعشيرته ، هم أترابه ورققاء صباه ، وهم عليه قومه وساداتهم . وتحتل له أفكاره أشباحاً تضطرب في الفضاء اللانهائي تحجب عنه نور القمر البهيج ، فانطوى يحدث نفسه حديث فلسفته الجديدة ، فلسفة الشك والحيرة ، قال :

« رب يوم قضيت في أمن ودعة ، ناعم البال مطمئن الخاطر؛ فإلهذا القمر يبدو كاسفاً حزينا ، وما لهذه الجبال تراءى مغفرة غرباء ، ومالي أحس كأن أنفاس الليل القادئة تهب قاسية لتصدع صدرى في غير رحمة ولا شفقة ! إن قلبي لتهده الوحشة وأما بين أهلى . أفيكون هذا لأننى سأغدو على حرب قوم هم منى وأنا منهم ؟ لقد سبأوا واعتدوا فحق عليهم عقاب

« يا ويلى ! ألقاً ما جاء به محمد ؟

« تا الله إنه لأمر عظيم . لقد عرضنا عليه المال حتى يكون أكثرنا مالاً ، والشرف والملك حتى يكون سيدنا ومليكتنا ، فأبى وتصف وقال : ما بي ما تقولون ... فإذا بقى من عمرض الدنيا بيتنيه ذو حاجة !

« وتسلت - مرة ومرة - في خفية وحذر أسمع ما يقول وأرى رأيي فيه - وعندى أنه كان بيننا غلاماً حدثاً غير متهم في قول أو فعل ، فخير جدير به أن يقول علينا بعض الأهل بعد إذ بدأ الشيب في صدغيه - فألقيتُ كلاماً حلواً عذباً ليس بينه وبين قلب اللبيب من حجاب ، فصوبت إليه وهفوت نحوه ؛

فتعبد إلهه ، وترجع سيرتنا الأولى قبل أن تستيطر عليه هذه الأخيلة ... ليتني وليته ... ولكن ؟

« ولكن أفنتظم تحت رايته وما هو بشيء ؟ فوالله لا تؤمن به أبداً ولا تصدقه فيكون له الشرف والملك علينا ، وتكون نحن في دولته كبعض أراذلنا

« آه ، لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ! »  
وراح الرجل في ضمير الليل يحدث عقله حديث الفيلسوف قد ضربه الشك فلا يستطيع أن يرى الضلالة التي تردى فيها .  
وخشى الشيطان غب الأمر فصاح من أقصى الأفق صيحة صكت مسمى الرجل فانترعته من خواطره ، ودوى صوت الشيطان يبدد أخيلته وطم على ضميره ويناديه بأن ستكون لكم التوبة فأفئ من غمرات الشك والتخاذل . غداً تهبط الأثارة ، وينطوى تاريخ هذا الرجل ، وتكون أنت ... أنت يا أبا الحكم السيد للطاع وهب الرجل من مكانه يجر درعه ، في هداة الليل ، صوب مضجعه وقد سكنت كل نامة ... ذهب إلى مضجعه لينام فألقى الشيطان هناك ينتظره ليحدثه حديث الكفر والنسوق حتى مطلع الشمس

\*\*\*

وفي الصباح دفعه الشيطان إلى الحومة ليلتي - أول ما يلقى -  
معاذ بن عمرو بن الجوح فضربه ضربة أطلنت قدمه بنصف ساقه فسقط رأس الكفر يتضرج في دمه ، ونظر فإذا الأرض من حوله خلاء إلا من الشيطان يصبث به ويسخر من آلمته ، ويقول له : إني برى ، منك ومما تعبد من دون الله . وتدقت الحشرات في قلب الناسق تأكله فما أقنعه منها إلا عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - فاحتر رأسه وحملها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهوى فرعون قريش أبو جهل - لعنه الله - إلى مشوى الكافرين . هوى إلى غضب الله يوم بدر ... يوم النصر ... يوم سطر أول شعاع أخلا من نور النبوة على جزيرة العرب

( المحلة الكبرى الثانوية )  
على محمود صهيب

غير أن عتقا أصابني قلت للأخنس بن شريق حين سألني رأيي :  
ماذا سمعت ؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ؟ أطعموا فطمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ؟ حتى إذا مجاذبتنا على الركب ، وكنا كفرسى رهان قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فحتى ندرك مثل هذه ؟ والله لا تؤمن به أبداً ولا تصدقه  
« هذا هنا ، يا قلبي !

« وتأججت نار الحسد والبغضاء في قلبي ، فاندفعت أريد أن أقتله أو يقتله عصبية منا فما استطاع واحد أن يخلص إليه .  
يا قلبي ، كيف حيل بيني وبينه ؟ لا ريب فهو قد سحرني أو أن خادماً من الجن أزعجني عنه

« كلا ، كلا ؛ فوالله ما هو بساحر !

« آه ؛ لطلالما سكنت إلى نفسي فإ وجنت إعماء قد قارفه ، غير أن له رأياً هو جملني أحمل له ضغناً ، فانطلقت أشتط في المخربة منه ، أسفه من حلمه ، وأضع من شرفه ، وأعذب صحابته ، وأقتنهم في دينهم ، لا أرعوى ولا أستقر ؛ ومضت الأيام وأنا أحتتم احتداماً لا تهبط لي ثورة ولا ينطق غل

« ماذا عساه يفتني ؟ لعمري إن أمر هذا الرجل لمجيب

« الله ! نعم ، الله ! »

\*\*\*

وصمت الرجل برهة من زمان يتأمل ... ثم تاب إلى نفسه  
يحدثها مرة أخرى :

« ثم ... ثم ما اللات والعزى ، وما مائة الثالثة الأخرى ؟  
أفليست بعض هذه الصخور المشورة حوالى عاتت بها يد إنسان فسورتها آلهة تصيد ؟ أفتحاً أن الله يسكنها فيدبر الأمر من وراءها على حين هي ذرات في هذا العالم اللانهائي لا حول لها ولا طول ؟  
يا لشد جهلي ! أأسجد وأقوم وأعبد وأقدم القرابين لثل هذه الصخرة الواهية ؟ وما إساق وثائفة ؟ أفكأننا غير رجل وامرأة أهدنا في الكعبة فسخرهما الله فآخذناهما إلهين ؟

« ليت شعري أين العقل والحكمة ؟

« ليتني أستطيع أن أنزل عن كبريائي فأرجع بهذا الناس ، فألى بقتله من أرب ، وأذر الرجل يتأجج ربه ويمبده وتهجد له ما شاء ، ويفسر دينه أني شاء وكيف شاء ! ليتني صيد آلمتنا

حكم في اللجنة المتألفة رقم ٩٦٨٠ سنة ٩٤٠ ضد أحد أمين حسن  
بقال بدر البوارين بقرعه ١٠٠ قرش ونصر الحكم بعبارة الرسالة  
والإجابة لييه ملحقاً بأزيد من التسمية